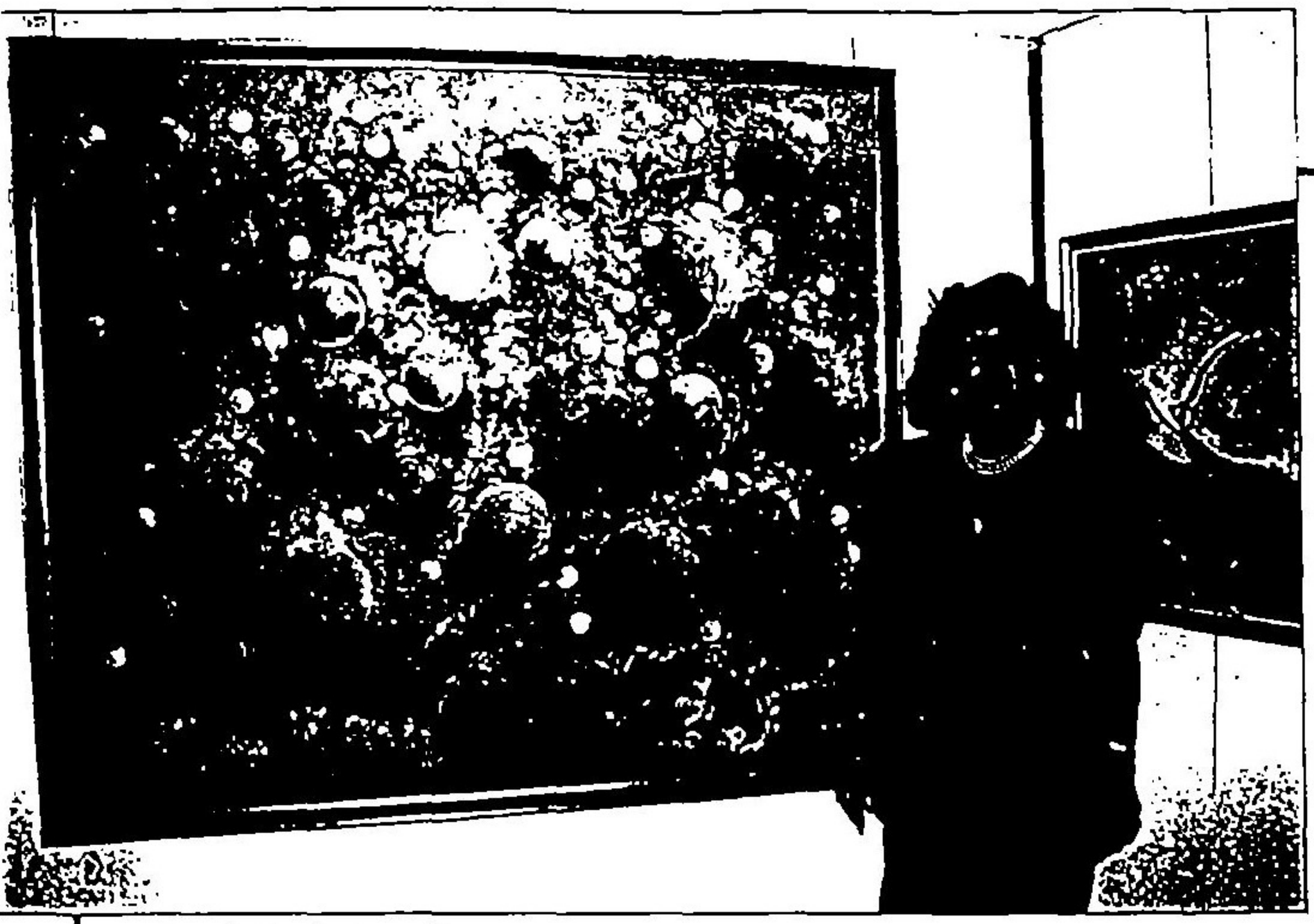

الرسامة نوف الهادي ريشاني في «رحلة الى عالم المجهول»

النور... حين تلحق به السعادة

قدمت الفنانة اللبنانية نوف الهادي ريشاني، مجموعة من أعمالها الأخيرة في فندق السمرلند - بيروت. واحد وثلاثون عملاً زيتياً، شكلت نواة المعرض الذي حمل عنوان «رحلة الى عالم المجهول».

ولدت نوف الهادي في بيروت، في احد احياء الاشرفية من هناك عانقت عيناها النور، لامست الجمال وصارت أسيرة له. ولم يبدأ لها بال حتى نقلته الى داخل الاطار متوسلة الريشة والألوان.

الثنائيات كانت بداية رحلة اثمرت ثمانية وعشرين معرضاً، أحد عشر فردياً وسبعة عشر مشتركاً، وتجربة سفر الى بلاد بعيدة مختلفة كلياً عن البيئة التي نشأت وتربّت فيها.

في فنزويلا تابعت دراستها الفنية وشاركت في الحياة الفنية التشكيلية، اقامت المعارض، دخلت في الجمعيات والمنظمات الفنية، حتى كان النجاح الكبير لها في العام ١٩٩٢، حين حازت على جائزة الوسام الفضي من الاتحاد الايطالي - الفنزويلي، لمناسبة الاحتفال بذكرى مرور خمسمائة عام على اكتشاف اميركا. فاجريت مسابقة ضمت اربعمئة لوحة لفنانين متعددي الجنسيات، فنالت لوحتها التي تمثل الانسان الأول في أميركا بلباسه وعدة صيده، واعجب النقاد والجمهور على حد سواء بأعمالها، وتشغل اليوم منصب منسقة عامة للثقافة بين ايطاليا وفنزويلا ولبنان.

«رحلة الى عالم المجهول» عنوان المعرض الفردي الرابع لنوف الهادي في لبنان، وهو عنوان كتاب في علم الأبراج قرأته وترك في نفسها أثراً عميقاً. هي المهتمة بالوجود الحقيقي وبأبعاد النفس، حتى انها رسمتها مع غيرهما من المواضيع في لوحات مختلفة الأحجام وبتقنية الزيت.

لكل لوحة اسم، ولكل لوحة حكاية. لأنها «حال» خاصة ومميزة. وقد أرفقتها الفنانة بخواطر شكلت جواز العبور الى عالمها (عالم اللوحة)، واعدة المشاهد بسفر الى أبعد من المألوف والعادي، حيث تندهش العين وتتنزه النفس، وتبقى للمسافر حرية اختيار لحظة العودة، فتكون «نظرة الى البعيد، الى اللامنظور، حيث تقطن النفوس البادئة»... وبالنسبة الى نوف الهادي: «الانسان والطبيعة جزء لا يتجزأ» و«أينما أردت أن تنظر تراني». أما الوجود الحقيقي ففي «صفاتك أيتها النفس، في ارتفاعك حيث الكواكب والمجرّات. علّك تصطاد ولو مرهفة لتتلاشى أنفاسك في بحر الأبدية»... وما «الأبعد من الآفاق» والفنانة صوّرته - الا «حلم وحقيقة وأنفاس ثانية،ربما تكون انشودة وربما امل التائه في بحر الحياة، وتبقى الطبيعة هي الملاذ اذ «تدخل الى نفوسنا الطمأنينة غير آبهة بأعباء الحياة ومسالكها الصعبة». وترسم الخطوط اللونية وتكتب في الوقت عينه «من بين الخطوط اللونية أرى وجهك المضيء الذي يملأ عليّ شعوراً بالأبدية».

لوحة نوف الهادي ريشاني وليدة فكرة نضجت واختمرت قبل أن تعلن عن نفسها. فهي تبدأ عملها من دون قرارات مسبقة، تترك للريشة حرية السفر، حرية الغوص في عمق النفس والأفكار، في عتمة من الألوان يعبّر جزءاً من الحكاية تاركاً الباب مفتوحاً على كل الاحتمالات، على كل النهايات.

مع بداية المشوار كانت أعمال نوف شبه كلاسيكية وهي تميل اليوم الى الانطباعية والتجريد ويعود السبب الى «طموح الفنان المشابه لطموح اي انسان يسعى نحو الأفضل والأكمل، ويفتش عن جديد يعبّر بواسطته عما يجول في نفسه، وتظل رغبة التفتيش والتعبير تتجدد اذ ما إن يصل الانسان الى غاية الا ويبحث عن غيرها، للوصول في لوحاتها وجود مبرر وكتلة وتتزاوج مع الطبيعة والسوائل والبحر والمراكب. لماذا الوجه؟ لأن فيه «التعبير المكثف، فيه النظرة البعيدة التي تروي حكايات وحكايات. أفتش عن وجه للحياة، غير وجهها المألوف. أفتش عن اللامنظور واللامرئي خلف تلك النظرات».

في رحلة بحثها هذه، تتزود نوف بالضوء، فيبرز بقوة في كل أعمالها لأنه «التفاؤل والأمل. النور أساس وجود الانسان الساعي أبداً وراء السعادة، التي ربما جاءت بعد تحقيق أمر ما، وعند انارة الطريق تزول الصعوبة وتبتعد عن الظلام خصوصاً وانه لا ظلام حيث نور السلام دائم».

أما اللون، فلا يخضع لغير مزاجية اللوحة وصاحبتها: «تصدر عني اللوحة تلقائيا. أبدأ مع الريشة، مع اللمسة، بدور فكري وبدور ليستقر مع اللون والفكرة والريشة في وقت واحد، مجسداً المضمون الذي أردت الوصول اليه».

وقبل النهاية يرتسم سؤال يفرض نفسه، عمّا اذا كانت نوف الهادي استطاعت بعد معرضها الأخير ان تكتشف المجهول، فتجيب: «اكتشاف المجهول ليس بالأمر السهل ولا يتم بين يوم وآخر. الطريق أمامنا طويل وكل يوم نكتشف جزءاً بسيطاً او شيئاً جديداً. اما متى يكون الاكتشاف التام، فنبذا جزء أساسي من المجهول...»

ندى عيد